(٥) اسرائيليات

من اعلان افلاس مشروع الدولة الى بدء .. الفصل الثاني

في زاويته الاسبوعية الساخرة « عندنا ... »، كتب الصحافي الاسرائيلي ، وعضو هيئة تحرير جريدة « معاريف » شالوم روزنفلد يقول : « ان من اخطر نتائج الحرب الاخيرة ، ان جميع مقالات الصحف عندنا تبدأ بكلمات : ان من اخطر نتائج الحرب الاخيرة ... » .

ولعل في قول روزنفلد هذا ، ما يصور بدقة ، الى حد بعيد ، اكتظاظ صحف العدو بمقالات لوم وانتقاد ومهاجمة سلطات اسرائيل العسكرية والسياسية ، بل وانتقاد الاتجاهات العامة للرأي العام الاسرائيلي ، وللاسرائيليين عموما ، وبشكل خاص في مرحلة ما بين الحربين : حرب حزيران ١٩٦٧ وحرب تشرين ١٩٧٣ ، وامتداد ذلك الى نقد الذات ، وتعمقه الى درجة تشبيههم له بالمازوشية — تعذيب النفس .

وما حفلت به صحف العدو ، يتطابق الى حد بعيد مع مشاعر وقناعات الاسرائيليين . فقد كتب الياهو سلفطر (هآرتس ٧٤/٢/٦) في عرض له لنتائج استفتاء للرأي العام ، اجراه احد معاهد الابحاث هناك ، انه « كلما ابتعدنا عن الحرب تزايد احساس الجمهور بأن العرب حققوا فعلا مكاسب مهمة ، خاصة في المجال السياسي . اذ بعد وقف اطلاق النار مباشرة ، اعتقد نحو ٢٠ ٪ فقط ان العرب حققوا « مكاسب كبيرة » ، اما الان فتصل نسبة هؤلاء الى ٤٤ ٪ » .

وزاد افرايم كيشون في معاريف يوم ٧٤/٢/٢٢ على ما قاله سلفطر حين اكد « ان خطأ قيادتنا العسكرية والسياسية ، كان كبيرا الى درجة ان الجمهور ، وحتى الان ، لم يستوعب ابعاده . ان هذه القيادة لم تفاجأ ، وكانت عمليا واثقة من انه حتى في حال حدوث مفاجأة كاملة ، نستطيع ابادة الجيوش العربية الغازية خلال بضعة ايام . هذه هي الحقيقة . وليس هناك اية دولة ديموقراطية في العالم ما كان — على ضوء هذا الخطأ المرعب — ليستقيل فيها على الاقل وزير الدفاع ، ورئيس هيئة الاركان العامة ، ورئيس فرع الاستخبارات العسكرية ، تاركين الخيار للجمهور في قبول استقالاتهم او رفضها . ولكن الجمهور المرهق لدينا على ما يبدو هو الذي سيستقيل ويحال على المعاش ، وهذا هو الخطر الاكبر الذي تواجهه الدولة » .

وبرغم العنف الذي اتسمت به غالبية مقالات الصحف الاسرائيلية في الاشهر الثلاثة الاولى التي تلت شهر الحرب ، فان هذه تبدو مقالات معتدلة اذا ما قورنت بمقالات شهر شباط (فبراير) الماضي .

والتفسير الاقرب الى العقل لهذه الظاهرة ، هو ان صحافيي العدو — او غالبيتهم المطلقة على الاقل — كانوا يكتبون خلال شهر تشرين الثاني تحت تأثير اعتبارين : الاول — حرصهم على معنويات الاسرائيليين التي انهارت الى اسفل الدركات من جراء هول الصدمة التي واجهتهم وعرت جيشهم وقادتهم ، والثاني — ما قاموا به من تضخيم ونفخ لعملية الخرق عند منطقة الدفرسوار و« التمركز في افريقيا » وظلوا يرددونها الى درجة انهم صدقوها على ما يبدو .

ثم ، وقبل ان يكتشف هؤلاء عدم فائدة وعدم صلاحية اي غطاء في حجب الحقيقة عن النفس وعن القراء ، كانت حكومة العدو قد أعلنت عن تشكيل لجنة التحقيق (لجنة اغرنات) للتحقيق في التقصيرات ، وارتفع ضجيج معركة الانتخابات التي تمت في اليوم الاخير من السنة الماضية .

ولقد ساعد الاعلان عن تشكيل « لجنة اغرنات » وبدء هذه عملها ، في كم افواه العديد من الناقمين، تحت شعار ان اللجنة تبحث وتحقق ، ولا مجال لتوزيع التهم قبل الاطلاع على نتائج التحقيق . وكذلك فان معركة الانتخابات، وما رافقها — بشكل خاص — من مصلحة متبادلة بين دايان والتكتل اليميني « ليكود » في « عدم الاعتداء » ، واقتصار توجيه ليكود للاتهامات الى « القيادة » بشكل عام وتسمية بعض الضباط مثل العازار وغونين — غير المرشحين في الانتخابات — وسكوت دايان في